

التفسير المطول - سورة الأعراف ٠٠٧ - الدرس (٥٦-٦٠): تفسير الآيات ١٨٩ - ١٩١ ، التوحيد
نقيض الشرك

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠١-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم أخرجنا من
ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

الشرك نوعان ؛ خفي و جلي :

أيها الأخوة الكرام ... مع الدرس السادس والخمسين من دروس سورة الأعراف ، ومع الآية التاسعة
والثمانين بعد المئة ، وهي قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ
فَلَمَّا أَتَتْهَا دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لَنُؤْتِيَنَّ
صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا
آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا
آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾



الحقيقة الأولى في هذه الآية هي حقيقة

التوحيد ، والتوحيد نقيض الشرك ، والشرك نوعان ، شرك جلي كأن ينحت قوم صنماً ، ويطلقون
عليه اسماً ، ويضعونه في معابدهم ، ويعبدونه من دون الله هذا الشرك شرك جلي ، والله سبحانه
وتعالى تفضل على المؤمنين وانتهت حياتهم من الشرك الجلي .

في العالم الإسلامي هذا ليس وارداً إطلاقاً ، ولكن الشرك الخطير هو الشرك الخفي .

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

(سورة يوسف)

من وقع في شرك خفي أدبه الله عز وجل حتى يبقى موحداً :

الشرك الخفي قلّ ما ينجو منه المؤمنون ، حتى إن الصحابة الكرام في حنين وقعوا بنوع خفيف جداً
من الشرك الخفي ، حينما قالوا :

((وَلَنْ يُغْلِبَ اثْنَا عَشَرَ ألفًا مِنْ قَلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]



من وقع في شرك خفي أدبه الله حتى يبقى موحداً

لمجرد أن تعتمد على ذاتك ، وأن تنسى الله ، لمجرد أن تعتمد على ذكائك ، أو على خبرتك ، أو على نسبك ، أو على مالك ، وقعت في شرك خفي ، والله عز وجل يراك ، فإذا وقع الإنسان في شرك خفي أدبه الله عز وجل ، أدبه حتى يبقى موحداً ، التوحيد هو الدين ، رأيت إلى الدين الإسلامي الذي هو أصل الأديان كلها ؟ قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

(سورة الأنبياء)

الرسالات السماوية جمعت في هذه الآية :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

فنحن في هذه الآية حديثنا عن الشرك الخفي ، قد يعتمد الإنسان على ماله ، كيف يؤدب ؟ يؤدب بمصيبة لا يحلها المال .

مرة شخص أنا أظنه صالحاً ، ولا أزكي على الله أحداً ، قال في مجلس : الدراهم مراهم تحل بها جميع المشكلات ، هو من أهل اليسار ، فابتلي بمشكلة أودعته في المنفردة سنتين يوماً ، تفضل حلها .

التوحيد أن تعتمد على الله و تخلص الوجهة له :

حينما تعتمد على مالك ، أو على نسبك ، أو على أهلك ، أو على أبيك ، أو على قوي ، أو على صديق ، أو على ذكاء ، أو على عقل ، التوحيد أن تعتمد على الله ، التوحيد أن ترى أن الله وحده هو الرافع ، وهو الخافض ، وهو المعطي ، وهو المانع ، وهو الضار ، وهو النافع ، وهو المعز ، وهو المذل ، أن تخلص الوجهة إلى الله ، وأنا أستخدم هذا المثل لأنه مناسب جداً لشرح هذه الآية .

بلدنا الطيب عاصمته دمشق ، وهناك ثاني أكبر مدينة بعدها ألا وهي حلب، وهناك قطار بين دمشق وحلب ، إنسان له مبلغ كبير في حلب وقد وعد أن يقبضه مثلاً يوم الاثنين الساعة الحادية عشرة ، يوجد قطار من دمشق إلى حلب ، يصل الساعة العاشرة ، قطع تذكرة من الدرجة الأولى ، وأخطأ وجلس في عربة من الدرجة الثالثة ، أليس هذا خطأ ؟



خطأ ، دفع قيمة الدرجة الأولى وجلس في الدرجة الثالثة ، لكن القطار متجه إلى حلب ، أخطأ خطأ ثانياً ، جلس مع ركاب شباب متفلتون أزعجوه إزعاجاً شديداً ، هذا خطأ ثانٍ ، لكن القطار متوجه إلى حلب ، جلس عكس اتجاه القطار أصيب بالدوار هذا خطأ ثالث ، لكن القطار متجه إلى حلب ، الآن تلوى من الجوع ولا يعلم أن في القطار عربة مطعم ، هذا خطأ رابع ، لكن القطار متجه إلى حلب ، أما في خطأ لا يغفر أن تركب خطأ قطار درعا المتجه نحو الجنوب ، هذا القطار لا يوجد معه مبلغ تقبضه ، القطار مريح جداً ، ودرجة أولى ، ولوحذك في الغرفة ، مقاعد وثيرة ، لكن انتهى كل شيء ، تعطلت الغاية ، ألغى الهدف .

من أشرك بالله عز وجل انتهى و أصبح طريق المغفرة عنده مسدوداً :

الإنسان مع التوحيد قد يخطئ ، لكن الله يغفر له ، أما إذا أشرك انتهى عند الله ، لذلك :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾

(سورة النساء الآية : ٤٨)



طريق المغفرة أصبح مسدوداً ، لأنك توجهت إلى غير الله ، اعتمدت على مالك ، أو على وجاهتك ، أو على أسرتك ، أو على ذكائك ، صحابة رسول الله هم قمم البشر ، حينما وقعوا في الشرك الخفي أدبهم ربهم وفيهم رسول الله .

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ

﴿ مُدْبِرِينَ ﴾

(سورة التوبة)

التولي و التخلي :

لذلك درس ينبغي ألا ينسى ، درس التوحيد ، تقول الله ، يتولاك الله جلّ جلاله ، يتولاك بالتوفيق ، يتولاك بالحفظ ، يتولاك بالتأييد ، يتولاك بالنصر ، يتولاك بالقول السديد ، يتولاك بالفكر الرشيد ، يتولاك بالمنطق الصحيح ، يتولاك فيهبك مكانة ، يتولاك فيهبك حكمة ، يتولاك فيهبك أمناً ، يتولاك فيهبك عطاء ، يتولاك فيهبك سعادة ، يتولاك فيهبك سكينه .



أما إذا قلت أنا ونسيت الله عز وجل ، قال له : يا رب ، عنده امتحانان هندسة وجبر قال له : أنا يا رب جيد بالجبر ، فالجبر عليّ والهندسة عليك ، فلم ينجح بالهندسة ، ولم ينجح بالجبر ، قال له العام القادم : يا رب الجبر والهندسة عليك .

لا تقل أنا ، لا تقل عندي خبرات متراكمة ، حينما يقع الإنسان في الشرك الخفي يرتكب حماقة لا يرتكبها الصغار .

قال أبو حنيفة النعمان لطفل يمشي في الطريق أمام حفرة: إياك يا غلام أن تقع ، فقال : بل إياك يا أمام أن تقع ، إني أن وقعت وقعت وحدي ، وإنك أنت إذا سقطت سقط معك العالم . حينما تعتمد على ذكائك ، أو على خبرتك ، أو على شهادتك ، أو على أسرتك ، أو على علمك ، تعلم واجتهد ، وقل يا رب ، الحل الأمثل أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

الحل الأمثل أن نأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء وأن نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء :

سهل جداً أن تكون متطرفاً ، سهل جداً أن تكون كالعالم الغربي يأخذون بالأسباب أخذاً رائعاً ويعتمدون عليها ، وينسون ربهم ، ويؤلهونها ، وسهل جداً أن تكون كأهل المشرق لا يأخذون بها إطلاقاً ، وقعوا بالمعصية ، أما البطولة أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء عندك سفر ، راجع المركبة ، العجلات ، المكبح ، كل دقائق العجلة ، الأجهزة ، العدادات ، الوقود ، تراجع كل شيء ، ثم تتجه إلى الله ثم تقول : يا رب أنت المُسَلَّم ، أنت الحافظ ، نحن المسلمون في أمس الحاجة إلى هذا الدرس .

ابنه مريض يبحث عن أمهر طبيب ،
ينفذ تعليمات الطبيب بحذافيرها ، يعطيه
الدواء في الوقت المناسب ، ومن أعماق
أعماق أعماقه يقول : يا رب أنت
الشافى ، أخذت بالأسباب .



النبي عليه الصلاة والسلام كان من
الممكن في الهجرة أن ينتقل على البراق ،
بلمح البصر من مكة إلى المدينة ،
لكن أراد أن يعلمنا كيف نحيا ، اتجه



علينا أن نأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم نتوكل على
الله وكأنها ليست بشيء

نحو الساحل ، ليضلل المطاردين ، وقبع في غار ثور أياماً ثلاثة ، كي يخف الطلب عليه ، وهياً
من يأتيه بالأخبار ، وهياً من يأتيه بالزاد والطعام ، وهياً من يحمو الآثار ، استأجر دليلاً غلب فيه
الخبرة على الولاء ، ولم يدع لثغرة احتمالاً ، أغلق كل الثغرات ، فلما وصلوا إليه قال أبو بكر : يا
رسول الله لو نظر أحدهم إلى موطن قدمه لرأنا ، الآن جاء دور التوكل على الله ، أخذ بالأسباب
وكأنها كل شيء ، وقال :

((يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك]

الإيمان بالله شرط غير كاف للنصر فعلياً ربطه بإعداد العدة المتاحة :

الله عز وجل قال :

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الروم)



الإيمان بالله شرط غير كاف للنصر فعلياً ربطه بإعداد
العدة المتاحة

أنت مؤمن ورب الكعبة ، مؤمن بالله
موجوداً ، وواحداً ، وكاملاً ، مؤمن بأنه
خالق ورب ، ومسير ، مؤمن بأنه
صاحب الأسماء الحسنى ، والصفات
الفضلى ، لا يكفي ، هذا حال
المسلمين، يجب أن تعد لهم ، فوجئنا
أعدوا لهم الصواريخ ، والمدافع المضادة
للدروع ، والألغام حتى قال أحد رجالاتهم
: يا رب أعددنا ما نستطيع ، بقي أن

تنصرتنا ، أعدوا لهم ، هم أعدوا لنا من مئتي عام ، أعدوا لنا أنواعاً من الأسلحة ، ساعة قنبلة
عنقودية ، تأتي كالمظلة بدائرة قطرها ١٥٠ م ، كل من في هذه الدائرة يصاب ، قنبلة انشطارية ،
قنبلة حارقة وخارقة ، قنبلة تركيب أشعة الليزر ، قنبلة تلغي الاتصالات ، قنبلة تلغي الطاقات ، قنبلة
تقني البشر وتدع الحجر ألقيت في بغداد قبل سقوطها ، أعدوا أنواعاً من القنابل ، أقمار صناعية ،
قصف خارجي ونحن نائمون ، نائمون في ضوء الشمس ، وهم يعملون من مئتي عام في الظلام ،
والذي يعمل في الظلام يغلب من ينام في ضوء الشمس ، إذا كان الوحي شمساً نحن نائمون في
ضوء الشمس ، سوقوا لباطلهم أروع تسويق ، تسمع كلمات رنانة الحرية ، ديمقراطية ، حقوق إنسان
، حقوق حيوان .

قتل امرئ في بلدة جريمة لا تغتفر وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر

* * *

أعدوا لنا ونحن نائمون ، منشغلون ببعضنا بعضاً ، الذي أعدوه لنا في المئتي عام السابقة تظهر
آثاره اليوم ، أخطاء متراكمة ، ونرجو الله أن نصحو من غفلتنا ، وأن نعود إلى رشدنا ، وأن نتبع
منهج ربنا ، ليس مسموحاً الآن أن نتنطق بكلمة خلافية ، وضعنا جميعاً في سلة واحدة ، وينبغي أن
نقف جميعاً في خندق واحد .

الشرك الخفي أخطر شيء يصيب المسلمين بالشلل :

أيها الأخوة الكرام ، أخطر شيء يصيب المسلمين بالشلل الشرك الخفي ، أن نظن أن زيداً أو عبيداً
ينصرتنا .

﴿ مَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١١٩)

بأي موضوع صغير جداً كان لهذا الذي
انتخب رأي فيه إلا بهذا الموضوع ،
سكت

﴿ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾

الحل عند الله عز وجل ، والله عز وجل
ممكن فئة قليلة جائعة ، محاصرة ،
معذبة ، أن تقف في وجه أعتى جيش
في المنطقة ، أليس كذلك ؟ اليوم هو
الرابع عشر ، ولم يستطع جيش العدو



أن يحقق هدفاً واحداً ، أما هو جيش جبان قتل أطفال ونساء فقط .

لذلك هذا الذي حدث أنا أسميه جرعة منعشة ، الأمر بيد الله عز وجل ، كن مع الله فأنت أقوى
الأقوياء ، كن مع الله ، نحتاج إلى تجديد إيمان ، إلى صلح مع الله ، إلى بيت مسلم فيه تعاون ، ما
سمعت كلمة لا تليق بالله عز وجل ، سبعة أولاد ماتوا ، لك الحمد يا رب ، الحمد لله إذا كان الله
معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ .

أيها الأخوة ، أنا أرى أن هذا درساً بليغاً لنا ، درس في التوحيد ، هذا الجيش هزم سبعة جيوش بست
ساعات ، والآن مع فئة مؤمنة ، اليوم الرابع عشر ، ما تمكن من تحقيق شيء ، إذا كان الله معك
فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ ويا رب ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟ .

النصر من عند الله و ثمنه نصر دينه :

أيها الأخوة ، درسنا اليوم درس توحيد ، ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، الأمر بيد الله ، دقق :

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٢٦)

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٦٠)

ثمن النصر :

﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾

(سورة محمد الآية : ٧)

انصر دينه ، ثمن هذا النصر :

((هل تَنْصُرُونَ وَتَرْزُقُونَ إِلَّا

بضعفائكم؟))

[أخرجه البخاري والنسائي عن سعد بن أبي وقاص]



تفسير الآيات ١٨٩ - ١٩١ ، التوحيد نف

أزل المنكرات ، أزل الظلم ، أطعم الجائع ، اكس العاري ، علم الجاهل ، عالج المريض ، انتصر للمظلوم ، إذا نصرت من هو أضعف منك فالله عز وجل يكافئك فينصرك على من هو أقوى منك .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ٦٠)

ما كفك ربنا جل جلاله أن تعد لهم القوة المكافئة ، هذا فوق طاقتنا ، إنما أمرك أن تعد العدة المستطاعة فقط .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ٦٠)

النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها :

فيا أيها الأخوة ، درسنا اليوم درس توحيد ، لأن هذه الآية :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

أينما سافرت لي كلمة أرددها : الإنسان هو الإنسان ، أين ما سافرت ، شرقاً وغرباً ، وشمالاً ، وجنوباً ، الإنسان هو الإنسان ، خصائصه واحدة .

((يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم ، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من

أساء إليها))

[ورد في الأثر]

هذه الفطرة ،

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

نحن جميعاً نحب الكمال ، ونحب الجمال ، ونحب النوال ، والله هو أصل الكمال ، وأصل الجمال ، وأصل النوال ، و الإنسان فطر على حب وجوده ، وعلى حب سلامة وجوده ، وعلى حب كمال وجوده ، وعلى حب استمرار وجوده.



﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

أي إنسان يمكن أن تستعبده بالبر ، بالإحسان ، بالبر يستعبد الحر .

((يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم ، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها))

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

الذي يعادي الدين لو رأى مسلماً صادقاً ، مؤمناً ، عفيفاً ، رحيماً ، متواضعاً ، عالماً ، حكيماً ، يقبل الدين الإسلامي .

تكلمت قبل قليل : هم عندهم أسوأ بضاعة ، لكنهم سوقوها أروع تسويق ، وعندنا أفضل بضاعة ، وكنا أسوأ مسوقين لها ، هذا الإنسان الغربي ، لا يمكن أن يقرأ تفسير القرطبي ولا فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، يرى الإسلام من خلال مسلم يعيش معه ، فإذا أدلى هذا المسلم بتصريح كاذب لم يسقط هذا المسلم ، سقط عنده الإسلام ، هذه المشكلة .

والله الذي لا إله إلا هو لو أن مسلمي الجاليات في العالم الغربي طبقوا دينهم فقط لكان موقف الغرب من المسلمين غير هذا الموقف .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

مرة رجل من أمريكا هداه الله إلى الإسلام وحج بيت الله الحرام ، هو في منى أحيان تعقد منتديات ، ألقى كلمة قال : أنا أنتمي إلى أقوى دولة في العالم ، فإذا أقتنمونا بإسلامكم كانت قوتنا لكم .

الناس رجلان لا ثالث لهما :

أيها الأخوة ، الشعوب واحدة ، هذه تقسيمات ما أنزل الله بها من سلطان .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى *

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾

(سورة الليل)



يعني الناس رجالان ، إنسان عرف الله ، فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه ، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، وإنسان غفل عن الله ، وتفلت من منهجه ، وأساء إلى خلقه ، فشقي وهلك في الدنيا والآخرة ، أين ما ذهبت ، أين ما سافرت الإنسان هو الإنسان ، الأب هو الأب ، الأم هي الأم ، الغني هو الغني ، الفقير هو الفقير .

التخلق بأخلاق الصحابة الكرام أساس انتشار الإسلام في العالم :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾



أنا أقول لكم : لو عندك موظف ، وهو يعادي الدين أشد العدا ، لو رآك صادقاً ، أميناً ، عفيفاً ، منصفاً ، رحيماً ، لأحب دينك ، المشكلة أن عالماً يقول : يستطيع المسلمون أن ينشروا دينهم بالسرعة التي انتشر بها الإسلام سابقاً بعدة عقود من الزمن ، الإسلام وصل إلى الصين ، وإلى مشارف باريس ، يستطيع المسلمون أن ينشروا دينهم بالسرعة التي انتشر بها من قبل بشرط واحد أن يتخلقوا بأخلاق الصحابة .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(سورة القلم)

أقسم لكم بالله هذا الذي يعادي المسلمين ، يفعل ما يفعل ، لو جُمع بمسلم صادق لأخذ فكرة أخرى عن الدين .

حدثني أخ قال لي : كنت في أمريكا بمسجد ، رجل هيئته من وجهاء البلد فسأله ، فإذا هو أدميرال في البحرية ، برتبة عالية جداً متقاعد ، كان بمهمة في الخليج بحاملة طائرات ، سكن إلى جانبه رجل مسلم مثقف ثقافة عالية ، أقنعه بالإسلام ، فأسلم ، ماذا يفعل بالجامع ؟ ينظف المسجد ، الطرف الآخر ليس معقداً ، يحتاج إلى مسلم واعٍ ، مسلم صادق أمين .

الطرف الآخر يحتاج إلى مسلم واعٍ صادق و أمين حتى يتبع ديننا :

بإمكانك أن تكون أكبر داعية وأنت صامت ، صدقك دعوة ، أمانتك دعوة ، إتقانك دعوة ، تواضعك دعوة ، إنصافك دعوة ، هل تحبون قصة تكمن بها مشكلات المسلمين ، رويتها ألف مرة :

إمام مسجد بلندن نُقل لظاهر لندن ،
اضطر أن يركب مركبة كل يوم مع
السائق نفسه يصعد المركبة ، أعطى
السائق ورقة نقدية كبيرة ، ردّ له التتمة ،
جلس في المقعد وعد التتمة فإذا هي
تزيد عشرين بنساً عما يستحق ، هو إمام
مسجد قال : لا بدّ من ردّ الزيادة حينما
أنزل ، قال : إنها شركة عملاقة(جاء
الشيطان)ودخلها فلكي ، وهذا المبلغ



بإمكانك أن تكون أكبر داعية للإسلام وأنت صامت

يسير ، وأنا بحاجة إليه ، لا عليّ أن أخذه ، الذي حصل لما أراد أن يغادر المركبة دون أن يشعر
مدّ يده وأعطى السائق عشرين بنساً ، ابتسم السائق قال له : ألسنت إمام هذا المسجد ؟ قال : بلى ،
قال : والله أردت أن آتي إليك قبل يومين لأتعبد الله عندك ، ولكنني أردت أن أمتحنك قبل أن آتي
إليك ، وقع هذا الإمام مغشياً عليه ، وغاب عن الوعي ، لأنه تصور عظم الجريمة التي كاد يقترفها
، لو أبقى المبلغ في جيبه ، فلما صحا من غفوته قال : يا رب كدت أبيع الإسلام كله بعشرين بنساً

والله ملايين مملينة من المسلمين يبيعون إسلامهم بدراهم معدودات ، يمين كاذب ببضاعة مغشوشة،
لا تنتظر أن يعجب الناس بإسلامك إذا كنت كاذباً أبداً .

ببعض البلاد الغربية إذا إنسان ليس له دخل ، يكتب كتاباً أنا ليس لي دخل ، يُعطى رقماً يكفي
عشرة أشخاص مجاناً ، ولابنه هناك تعويض ، يسافر كل سنة لبلده حتى يتواصل مع أهله ، وهناك
تأمين صحي ، وبيت مجاني ، وكهرباء ، وماء ، بكتاب ! .

بعض أفراد الجالية اكتشف أنه إذا طلق زوجته يتقاضى هو راتباً ، وتتقاضى هي راتباً ، هو بيت
وهي بيت ، يطلقها تطلقاً شكلياً ، هم يرون هذا الكذب ، هل يعقل أن يحترموا ديننا ؟ .
أقسم لكم بالله من يكذب ، أو يحتال على غير مسلم كأنه ارتكب جريمة بحق دينه لأنه عندئذٍ بهذا
العمل يقنع الطرف الآخر أنه على حق ، نحن سيئون .

أساساً رسام الدنمرك لما عوتب ، قال : كنت أظن محمداً كأتباعه ، هذه المشكلة ، أنت رسول
رسول لهذا الدين ، أنت سفير هذا الدين ، أنت جميع الناس ينظرون إليك على أنك تمثل هذا الدين .

النساء شقائق الرجال :

فيا أيها الأخوة ، الدرس حول التوحيد :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

من خصائص واحدة أين ما ذهبت .

﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾

إنسانة ، لها تفكير ، لها مشاعر ، تحب كما تحب ، تكره كما تكره ، ترقى كما ترقى ، تقصر كما تقصر ،

﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

من خصائص واحدة .

((النِّسَاءُ شِقَاقُ الرِّجَالِ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾

الزوج يكمل نقصه العاطفي بزوجه فيسكن إليها ، والزوجة تكمل نقصها القيادي به ، فتسكن إليه ، الذكر والأنثى ليسا متشابهين ، بل هما متكاملان .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

خصائص واحدة ، الإنسان هو الإنسان في أي زمان ومكان ،

﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الروم الآية : ٢٢)

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

(سورة فصلت الآية : ٣٧)

دقق :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم الآية : ٢١)

﴿ فَلَمَّا تَعَشَّاهَا ﴾

يعني دخل بها ، بالمصطلح الشرعي ،

﴿ حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا ﴾

الحمل في بدايته خفيف جداً .

﴿ فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾

لما صار سبعة أشهر ، ثمانية أشهر ، تسعة أشهر انتفخ بطنها .

من عزا توفيقه إلى أسباب أرضية و نسي الله عز وجل فهو إنسان مشرك :



من عزا توفيقه إلى أسباب أرضية و نسي الله فهو إنسان مشرك

﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعْوَا اللّٰهِ رَبَّهُمَا لَئِن

آتَيْنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

وهذا شأن أي إنسان في الأرض ، راكب طائرة ، دخلت في سحابة مكهربة ، على متن الطائرة عشرة مهندسين ملحدين ، القصة قديمة حدثني بها طيار ، فلما دخلت هذه الطائرة بغيمة مكهربة واضطربت ، وكادت تقع ، هؤلاء الملحدون دعوا ربهم و قالوا : يا رب .

أي إنسان عند المصيبة يقول يا رب مسلم ، غير مسلم ، كافر ، ملحد ، منافق ، فاجر أبداً ، عند المصيبة : يا رب ، بعد أن ينجو يقول الطيار ماهر ، بعد أن يشفى ابنه ، الطبيب رائع معه بورد ، بعد ذلك أدوية أجنبية أخذتها له ، صار الدواء الأجنبي سبب شفائه ، أو طبيب معه بورد ، أو طبيب ماهر ، أو طيار رائع ، نسي الله عز وجل ، هذا شأن البشر ، وأنت في المصيبة يا الله ، فإذا أزيحت عنك تعزو نجاتك ، وتوفيقك إلى أسباب أرضية وتنسى الله عز وجل .

من أطاع مخلوقاً و عصى خالقاً فقد أشرك بالله تعالى :

يا أيها الأخوة ، هذه مشكلة المسلمون اليوم ، أقسم لي بالله رجل : صار زلزال بدولة إسلامية أنا أكبرها كثيراً ، أقسم لي بالله المصلون في الصلوات الخمس ملؤوا الحرم ، والصحن ، والرصيف عند الزلزال ، فلما انتهى الزلزال رجع الصف واحد ، لا يوجد بلد إسلامي تأتيه مصيبة جائحة إلا و يتضاعف المصلون أضعافاً مضاعفة ، بعد أن تتزاح عنهم عاد إلى ما كان عليه هذه مشكلة ، هذا مرض ، هذا من خصائص المسلم المقصر .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ
فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعْوَا اللّٰهِ رَبَّهُمَا لَئِن
آتَيْنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا



من أطاع مخلوقاً و عصى خالقاً فقد أشرك بالله تعالى

آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿

هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ،

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ ﴾

(سورة الأعراف)

إنسان ضعيف مثلك ، مفتقر إلى الله مثلك ، تعبد من دون الله ؟ تطيعه في معصية ؟ بمجرد أن تطيع إنساناً وتعصي ربك فأنت لا تعرف الله ، أنت واقع لا سمح الله ولا قدر في شرك ، ترى أن طاعته أكبر من طاعة الله ، لمجرد أن تطيع مخلوقاً مهما كان كبيراً ، أكبر من طاعة الله فأطعته وعصيت الله فأنت مشرك .

لذلك لو قلت الله أكبر أنت كاذب بها ، هذا الذي يطيع مخلوقاً ، ويعصي خالقاً ما قال الله أكبر ولا مرة ، ولو ردها بلسانه ألف مرة .

أيها الأخوة الكرام ، الآية الكريمة محور هذا الدرس :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْ دَعَا اللَّهَ رَبِّهَما لِنِ أَنْتِنَا صَالِحًا لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

والحمد لله رب العالمين